# بوابة النقد الثانية*

د. عبد الباسط بدر

**كيف ينبغي أن نُقَوِّمَ - نحن المسلمين - العمل الأدبي ؟، وما مقاييس التقويم ؟ لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال أمر يهم الناقد - والمتذوق - الذي يريد أن يلتزم بالعقيدة الإسلامية دون أن يَغفل عن متطلبات الأدب الفنية .**

من المعروف أن معظم النقاد - منذ القديم وحتى اليوم - قد توزعوا في جبهتين متقابلتين، جبهة تتحَصَّن وراء القيم الفنية وحدها، فتنظر إلى البنية اللغوية للنص، ومدى إبداع الأديب فيه، وإلى الصورة، والخيال والإيقاع، وغير ذلك من أجزاء العمل الفني، فإذا استكملت تقويمها أصدرت حكمها من مجموع تلك الأحكام الجزئية، دون أن تهتم بموضوع هذا العمل وعلى وجه الدقة، دون أن تهتم بموافقته للقيم العقدية والخلقية، وإذا سُئلت في ذلك أنكرت السؤال، وأعلنت في تحدٍ كامل: إن الأدب لا يخضع لمقاييس العقائد والأخلاق،وإن الأديب لا يقاس بصلواته وعباداته .

وفي الجبهة المقابلة وقفت الطائفة الثانية موقف رد الفعل، فأعلنت أن العمل الأدبي يقاس بما فيه من قيم عقدية وخلقية، وبما يقدمه من خير للمتلقين وحسب، ولم تعط القيم الفنية حقها من الاهتمام والعناية .

ولا شك أن الموقفين غير صحيحين، فتقويم العمل الأدبي من خلال أدواته الفنية وحدها أمر خطير، ولا يتفق مع ارتباطاتنا العقدية، ولا مع شمولية الإسلام لجميع مظاهر الحياة المادية والمعنوية، فهو يسوِّغ لأصحاب الدعوات الفاجرة ولسيئي النيات أن يمارسوا - عبر الأدب - أبشع أنواع الانحراف والانحطاط الخلقي، دون أن نأخذ على أيديهم بشيء، ذلك أنهم أتقنوا صياغة العمل الأدبي، فاستخدموا اللغة ببراعة، ونسجوا من خيالاتهم صوراً فنية مؤثرة فتخلصوا من المؤاخذة، ونجوا من سطوة النقد، ولو قالوا ما قالوا .. وقد وقع هذا في الآداب العالمية كلها، ولم ينج أدبنا العربي الحديث منه، فكان فيه ما حمل قيماً فكرية ضالة، وكان منه ما تاجر بالغرائز، وتاه في أودية الجنس، وكان منه ما سوَّغ الجريمة وقلبها إلى بطولة، وكان منه ما دعا إلى الشيوعية، والوجودية، والقومية الملحدة، وغير ذلك من الضلالات .

وأما الاتجاه الآخر، فقد وقع في منزلق خطير أيضاً، ذلك أنه - تحت وطأة حماسته للعقيدة والأخلاق - نسي أن يتعامل مع الأدب، وأن للأدب شروطاً فنية لابد منها في أي نص نريد أن نسميه ( نصاً أدبياً )، وأن العقيدة لا تُغْفل شروط (أصحاب الصنعة ) في أي عمل مادي أو معنوي ... وكان من نتيجة ذلك أن دافع هؤلاء النقاد عن أعمال أدبية ضعيفة ؛ لأن موضوعها أخلاقي، أو لأن فيها مدحاً أو إعلاء لقيمة عقدية، أو لرجل من رجال العقيدة، والحقيقة أن هذه الطائفة - بحكمها المتسرع - قدَّمت لخصومها ما يشد عضدهم، فقد احتجوا بهذه الأعمال الأدبية الضعيفة عليهم، وزعموا أن الالتزام العقدي يسقط العمل الأدبي !.

إن الناقد المسلم - انطلاقاً من كياسته وفطانته - لا يتورط في أي من الاتجاهين السابقين،بل يتخطاهما إلى موقف سليم يوصله إلى المقاييس الفضلى والأجدى، ومن أوليات هذا الموقف أن المقاييس ينبغي أن تكون قادرة على إظهار الإبداع والجمال في العمل الأدبي، وأن تشمل جوانب هذا العمل في شكله ومضمونه، وأن تنظر إلى مدى مراعاة الأديب للقيم الإسلامية وآدابها .

* البلاغة والنقد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط ١٤١٩هـ.

فثمة بوابتان أساسيتان لابد أن يمر بهما العمل الأدبي: الأولى: بوابة المقاييس الفنية، حيث نفحص الأدوات الفنية بدقة وموضوعية تامتين، فإن وجدناها ضعيفة، غير قادرة على التعبير عن المضمون ببراعة، أسقطنا عن هذا العمل مصطلح (الأدب)، وأرسلناه إلى ميدان الفكر، أو أي ميدان آخر يناسبه . وإن وجدناها قوية، قادرة على التعبير عن المضمون ببراعة، مؤثرة في القراء، سمحنا للعمل الأدبي أن يتجاوز البوابة الأولى، وانتقلنا به إلى البوابة الثانية، وعند هذه البوابة نفحص مادة العمل الأدبي، لا من حيث قيمته الإنسانية فحسب، بل من حيث توافقه مع عقيدتنا أيضاً، ذلك أن عقيدتنا لا تقتصر على جانب من الحياة دون جانب، بل تشمل جوانبها كلها .

ونحن لا نطلب من العمل الأدبي أن يشرح أصول العقيدة وتفصيلاتها، فتلك مهمة الفكر وأدواته، ولكنا نطلب منه ألا يصادمها، ولا يخدشها، ولا يسقط في مستنقعات الغرائز، ولا يُسِفَّ إلى التجارة بالقيم، ونطلب منه أيضاً أن يصدر من منطلق إسلامي وأن يسهم في بناء شخصية الإنسان المسلم، بكل ما تحمله هذه العبارة من دلالات. وإن لم ينجح في هذا الاختبار فلن ينفعه أنه نجح في اختبار أدواته الفنية، لأن الأدب يخاطب الإنسان في جميع إحساساته، وليس في ذوقه الفني وحده، وكما أن الذوق ينفر من الصورة الشوهاء، والإيقاع الناشز، واللغة المضطربة، فإنه ينفر من أية صدمة تؤذي قيمه وعقيدته، فتلك تؤذي حسّه الفني، وهذه تؤذي حسّه ووجدانه معاً، ولا يمكن أن يتلذذ المرء بطعم اللحم – مهما كان الطهي بارعاً – إذا علم أنه لحم بشري، وقتل القيم الخُلقية والعقدية لا يقل عن قتل النفس البشرية . وصدمة العقيدة تميع كل القيم الفنية، وتفقدها القدرة على الإمتاع ببراعة الصورة والإيقاع والكلمة.. لذلك لابد لنا – نحن المسلمين – من أن نقوم العمل الأدبي من جانبيه: أدواته الفنية ودلالاته الفكرية في وقت واحد. ■

# الشهيد

للشاعر التركي: محمد عاكف إينان
ترجمة: د.محمد حرب

أطلقوا النار عليك يا فتى وأنت في صحن الجامع،
والناس يخرون لله سجداً.
تعال واتكئ عليّ يا فتى، فقلبي لك،
وهذه الأرض: أم الشهداء هي أرضك، ملك لك.
وجهك يا فتاي أبيض من غمر النور،
مثل ضميرك وخيالك وشرفك، مثل إيمانك.
دماؤك عين ماءٍ لكن من نور وشمس،
تذيب قذارة العصر وتبعدها.
تهتز النجوم الآن رافعة يدها بالتحية،
تحية وداعك وروحك تصعد إلى بارئها.
ستذوب قيود الظلم ذات يوم،
ستذوب في بحار نقطة واحدة من دمائك.
وستأتي يا فتاي من جديد في زمان حرب،
ضمن جيوش الشهداء،
التي سجلت اسمك فيها.